

الفصل الخامس

البيت المسلم وتزيينه

أولاً: تنظيف البيت وتجميله :

(أ) عمل المرأة في بيتها :

قال الإمام الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين :

« ومن آداب الزوجية أن تقوم بكل خدمة في الدار تقدر عليها ، فقد رُوي في الصحيحين عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضى الله عنهما ، أنها قالت : « تَزَوَّجَنِي الزبير وماله في الأرض من مالٍ ، ولا مملوك ، ولا شيء غير فَرَسِهِ وَنَاضِحِهِ ، (أى بعيره الذى يحمل له الماء) فكنت أعلفُ فَرَسَهُ ، وأكفيه مؤنته ، وأدق النوى لَنَاضِحِهِ ، وأسقى الماء ، وأخرز غَرْبَهُ (دَلَوَهُ) ، وأعجن ، وكنت أنقل النوى على رأسى من ثُلُثَيْ فرسخ ، حتى أرسل إلى أبو بكر بجارية ، فكفتنى سياسة الفرس ، فكأنما أعتقنى .

ولقيت رسول الله ﷺ يوماً ومعه أصحابه والنوى على رأسى ، فقال ﷺ : أخ أخ لينبخ ناقته ويحملنى خلفه ، فَاسْتَحْيَيْتُ أن أسير مع الرجال ، وذكرت الزبير وغيرته ، وكان أغْيَرَ الناس ، فعرف رسول الله ﷺ أنى قد استحييت ، فجئت إلى الزبير وحكيت له ما جرى فقال :

« والله لَحَمْلُكَ النوى على رأسك أشدُّ عَلَى من ركوبك معه » .

وتدل هذه الرواية على واجبين رئيسيين من أهم واجبات الزوجة هما :

ـ الخدمة في بيتها ، وخدمة زوجها .

- احترام الزوجة لمشاعر زوجها .

فهذه أسماء بنت الصديق أبى بكر رضى الله عنها ، تعمل فى بيتها ، وتخدم زوجها ، وتحترم مشاعره .

ونظرًا لما تعلمه من غيرته الشديدة عليها رفضت أن تركب مع الرجال ، برغم أن الدعوة موجهة إليها من رسول الله ﷺ :

مزية شغل المرأة فى الأمور المنزلية :

يذكر المرحوم الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق فى كتابه الإسلام عقيدة وشرعية :

« إذا كان القرآن الكريم قد اعتبر - فى مقام الشهادة - امرأتين مقابل الرجل ، وقد علل ذلك فى الآية الكريمة :

﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾ (١) . أى : فإذا ما نسيت إحداهما ذكَّرتُها الأخرى ، فإنه ليس من شأن المرأة الاشتغال بالمعاملات المالية ونحوها ، حيث تكون ذاكرتها فيها ضعيفة ، ولا تكون كذلك فى الأمور المنزلية التى هى من شغلها ، فإنها فيها أقوى ذاكرة من الرجل . ومن طبع البشر عامة أن تقوى ذاكرتهم للأمور التى تهملهم ويهاسونها ويكثر اشتغالهم بها» .

(ب) نظافة البيت وتزيينه :

قبل أن يعنى الإسلام بالزينة وحسن الهيئة وجه عناية أكبر إلى النظافة ، فإنها الأساس لكل زينة حسنة وكل مظهر جميل .

وقد روى عن الرسول ﷺ :

« تنظفوا فإن الإسلام نظيف » (٢) .

وقوله عليه الصلاة والسلام :

(١) سورة البقرة - من الآية ٢٨٢ .

(٢) رواه ابن حبان بسند ضعيف .

« النظافة تدعو إلى الإيمان ، والإيمان مع صاحبه في الجنة » (١) .

وقال ﷺ :

« إن الله تعالى طيّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ ، نظيفٌ يحب النظافة ، كريم يحب الكرم ، جوادٌ يحب الجود ، فنظفوا أفئيتكم ولا تشبهوا باليهود » (٢) .

وقد حثَّ رسول الله ﷺ على نظافة البيوت ونظافة الطرق . وبالإضافة إلى توجيهات الرسول الكريم أن يكون البيت المسلم نظيفاً فإن النبي ﷺ يحب سعة الدار، ويعد ذلك من عناصر السعادة الدنيوية ، حيث قال ، صلوات الله وسلامه عليه :

« أربع من السعادة : المرأة الصالحة . والمَسْكَنُ الواسع . والجَارُ الصَّالِحُ . والمَرْكَبُ الهَنِيُّ » (٣) .

فيجب على الزوجة المسلمة أن تكون دائماً نظيفة في بيتها ، نظيفة في أولادها ، نظيفة في نفسها ، فالنظافة استجابة لأمر الله تعالى في قوله عز وجل :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (٤) .

ويجب على الزوجة المسلمة أن تجعل من بيتها جنة صغيرة ، وذلك يعكس عظمة الإسلام وما يدعو إليه من توفير كافة أسباب السعادة في الحياة الدنيا ، فقد وعد الله عز وجل المؤمنين بالحياة الطيبة في الدنيا ، والسعادة في الحياة الآخرة ، وذلك في قوله تعالى :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٥) .

فتستطيع الزوجة أن تُجَمِّلَ بيتها بأنواع من الزهور والمناظر الطبيعية الجميلة ، وأنواع

(١) رواه الطبراني بسند ضعيف .

(٢) رواه الترمذی .

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه .

(٤) سورة البقرة - من الآية ٢٢٢ .

(٥) سورة النحل - الآية ٩٧ .

من النقوش والزينة الحلال ، والله سبحانه وتعالى يدعوننا إلى متع الحياة الدنيا فيقول تعالى :

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ * قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿١﴾

فالإسلام يدعو إلى أن تكون المرأة المسلمة جميلة في بيتها ، جميلة في ثوبها وفي نفسها ، وفي أولادها ، وفي كل ما يتصل بها من أمور الحياة الدنيا .
وقد قال رسول الله ﷺ :

« لا يدخل الجنة مَنْ كان في قلبه مثقالُ ذرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ » فقال رجل :
إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً .
فقال ﷺ : « إن الله جميلٌ يحبُّ الجمال » (٢) .

وأخرج أبو داود :

« أن رجلاً جميلاً أتى إلى النبي ﷺ فقال :

إني أُحِبُّ الجمال ، وقد أُعْطِيتُ منه ما ترى حتى ما أحب أن يفوتني أحدٌ بشراك
نعل ، أفمن الكبر ذلك يا رسول الله ؟

قال الرسول : « لا ولكنَّ الكِبَرَ بَطْرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ » (٣) .

وإن كثيراً من المسلمين والمسلمات يحتفظون بكتاب الله الكريم وآيات الله البينات في لوحات فاخرة وأغلفة نفيسة لمجرد تزيين بيوتهم ، ومكاتبهم ، ومكتباتهم ،

(١) سورة الأعراف - الآيتان : ٣٢ ، ٣٣ .

(٢) رواه مسلم .

(٣) بطر الحق : إنكاره ، وعدم قبوله . وغمط الناس : احتقارهم وعدم الاعتراف بفضلهم .

وسياراتهم ، والحقيقة أن آيات الله البينات أنزلت على قلب رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه لتطهر بها النفوس وتزين بها الصدور ، وتُجَلَّى بها القلوب تلاوةً وتدبراً ، عقيدة وسلوكاً وخُلُقاً وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ أَمْرًا عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (١) .

إن أسلوب القرآن في أبسط صوره هو في قوله تعالى :

﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا ﴾ (٢) .

والعمل يكون في ضوء من تقوى الله ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ (٣)

والتقوى هي إيجابية الحياة في ضوء كتاب الله ، وإن أفضل تعبير عن حبنا لكتاب الله هو أن ترجمه إلى حياة نابضة ، بدون إغراق في مثالية معجزة ، أو واقعية عاجزة .

(ج) توجيهات الإسلام في تجميل بيوتنا وتزيينها :

١- تحريم الصور القائمة بذاتها ولها ظل (التماثيل) :

فيجب على الزوجة المسلمة وهي تزين بيتها وتجمله أن تراعى ما حرَّمة الاسلام من وسائل فيها تشبه بالكفار في أى شىء . فقد حرم الإسلام أن يشتمل البيت المسلم على تماثيل ، وهى الصور المجسمة غير الممتهنة ، وجعل وجود هذه التماثيل سبباً في أن تَفَرَّ منه الملائكة ، وهى مظهر رحمة الله ورضاه تعالى ، حيث قال ﷺ :

« إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه تماثيل أو تصاوير » .

وقد كَسَرَ النَبِيُّ ﷺ يوم فتح مكة جميع الأصنام التى كانت على الكعبة ، وفى جوفها ، وعلى الصفا والمروة وهو يقول :

﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (٤) .

(١) سورة محمد - الآية ٢٤ .

(٢) سورة التوبة - من الآية ١٠٥ .

(٣) سورة النساء - من الآية ١٣١ .

(٤) سورة - الإسراء - من الآية ٨١ .

وقد نفّر الإسلام من التماثيل تنفيراً شديداً ، وحرّم صنْعَها وحرّم اقتناءها .

حكمة الإسلام في تحريم التماثيل :

إن من القواعد الأساسية للشريعة الإسلامية الغراء سد كل المنافذ التي يتسرب منها شركٌ جليٌّ أو خفيٌّ إلى العقول والقلوب ، أو تشبه بالكفار بتصوير أوثان يصنعونها بأيديهم ثم يقدسونها ويقفون أمامها خاشعين ، وقد حدث لكثير من الأمم السابقة أن اتخذوا لموتاهم وصالحهم صوراً يذكرونهم بها ، ثم طال عليهم الأمد ففقدوها شيئاً فشيئاً حتى اتخذت آلهة تُعبَد من دون الله ، كما حدث لقوم وُدّ ، وسُواع ، ويعُوث ويعُوق ونَسِر ، التي ذكرت في قوله تعالى :

﴿ وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ * وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿١﴾ .

وقبل أن يُفْتَنَ الناسُ في التماثيل كانت موجودة ، وقد سخر الله سبحانه الجن لسليمان عليه السلام ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحْرِبَ وَتَمْثِيلَ وَجِفَانِ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ ﴾ (٢) . ولم تحدث الفتنة في التماثيل ، ولكن لما حدثت الفتنة في التماثيل ووصلت بالناس إلى قمة الشرك وقمة الكفر أصبحت حراماً لا حلالاً .

ولذلك حرّم الإسلام على المسلم أو المسلمة الاشتغال بصناعة التماثيل ، ولو كان صنعها لغير المسلمين .

وعن عائشة رضی الله عنها قالت :

قدم رسول الله ﷺ من سفر ، وقد سترتُ سهوةً لى بقرام (٣) فيه تماثيل ، فلما رآه تلون وجهه ، وقال صلوات الله وسلامه عليه : يا عائشة ، إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يُضَاهِئُونَ بخلق الله عز وجل ﴿ (٤) .

(١) سورة نوح - الآيات : ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) سورة سبأ - من الآية ١٣ .

(٣) السهوة : شيء في مدخل البيت للمتر . والقرام : الستر .

(٤) متفق عليه في الصحيحين .

قالت عائشة رضى الله عنها ، فَقَطَعَتْهُ فجعلت منه وسادتين .

وأخبر النبي ﷺ أن :

« من صَوَّرَ صورة في الدنيا كُلَّفَ يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح ، وليس بنافخ فيها أبداً » (١) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما .

أن رسول الله ﷺ قال :

« إِنَّ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ الصُّوَرَ يُعَذَّبُونَ يوم القيامة يُقَالُ لَهُمْ : أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ » (٢) .

وفى حديث قدسى عن رب العزة عز وجل ، يقول الله تعالى :

« وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي ، فليخلقوا ذَرَّةً ، فليخلقوا شَعِيرَةً ، فليخلقوا حَبَّةً » (٣) .

٢- كراهية الصور الكاملة المنقوشة :

على أن الصور التى تُرَسَّمُ فى لوحاتٍ ، أو تُنْقَشُ على الثيابِ والبُسْطِ والجُدْرانِ أظهر النبي ﷺ كراهيته لها فقط ، وليس هناك ما يدل على تحريمها .

اشترت عائشة رضى الله عنها نُمرقة فيها تصوير فلما رآها الرسول ﷺ قام على الباب فلم يدخل ، فعرفت فى وجهه الكراهة قالت :

يا رسول الله أتوب إلى الله ورسوله ، ما أذنبت ؟

قال ﷺ ما بال هذه النمرقة ؟

قالت : اشتريتها لك لتقعد عليها وتوسدها .

فقال ﷺ :

(١) رواه البخارى وغيره عن ابن عمر .

(٢) متفق عليه فى الصحيحين .

(٣) متفق عليه فى الصحيحين .

« إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّورِ لَيُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيُقَالُ لَهُمْ : أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ » (١) .

وفي رواية أخرى لحديث السيدة عائشة قالت :

« دخل على رسول الله ﷺ وأنا مستتره بقرام فيه صور ، فتلون وجهه ، ثم تناول الستر فهتكه ثم قال :

« إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يشبهون خلق الله » .

فقالت عائشة : فجعلت منه وسادتين » .

فالنبي أنكر الصورة في الثوب حينما كانت تامة ، فلما قطع الثوب وجعل منه وسادتان وتفرقت أجزاء الصورة لم ينكرها النبي ، وارتفق بالوسادتين ، أمّا صور الأشجار والأنهار والجبال فيجوز صنعها واقتناؤها .

ولكن بالطبع إذا كان موضوع الصورة مخالفاً لعقائد الإسلام وتعاليمه كتصوير النساء عاريات أو شبه عاريات ، ورسمهن أو تصويرهن في أوضاع مثيرة للشهوات ، وإبراز مواضع الأنوثة والفتنة منهن ، كل ذلك لا شك في حُرْمَتِهِ وَحُرْمَةِ تَصْوِيرِهِ ، وحرمة نشره على الناس ، وحرمة اقتنائه واتخاذَه في البيوت أو المكاتب والمحال ، وتعليقه على الجدران ، وَحُرْمَةِ الْقَصْدِ إِلَى رُؤْيَيْهِ وَمُشَاهَدَتِهِ .

وذكر ابن حجر في شرحه للبخاري ، كما نقل عن أبي عريبي :

إن الصور ذات الأجسام ، وذات الظل (التماثيل) حُرِّمَتْ بِالْإِجْمَاعِ ، سواء أكانت مما يُمْتَنُّ أَوَّلًا ، ويلحق بها الصور المحفورة في الحجر أو الخشب حفرًا تكون فيه جميع مميزات الصورة واضحة .

وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال :

كان رسول الله ﷺ في جنازة فقال :

« أيكم ينطلق إلى المدينة فلا يدع بها وثناً إلا كسره ، ولا قبراً إلا سَوَّاهُ ، ولا صورة إلا لَطَّخَهَا . فقال رجل : أنا يا رسول الله ، فهاب أهل المدينة ، وانطلق الرجل ثم رجع

(١) رواه البخاري .

فقال : يا رسول الله لم أَدع بها وثناً إلا كسرتَه ، ولا قبراً إلا سويتَه ، ولا صورة إلا لَطختها .

ثم قال رسول الله ﷺ :

« من عاد إلى شيء من هذا فقد كَفَرَ بما أُنْزِلَ على محمد ﷺ » (١) .

وهذه الصورة التى أمر رسول الله ﷺ بتلطيخها وطمسها هى بقايا مظاهر الوثنية الجاهلية التى حرص رسول الله ﷺ على تنظيف المدينة من آثارها ، ولهذا جعل العودة إلى شيء منها كفراً بما أنزل الله عز وجل .

وروى مسلم فى صحيحه عن حيان بن حصين قال :

قال لى على بن أبى طالب رضى الله عنه : « ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله ﷺ : ألا تَدَعُ صورة إلا طمسَها ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويتَه » (٢) .

ويستثنى من ذلك ما أجازَه جمهور الفقهاء :

(أ) ما يُمْتَنُّ كَلْعُ الأَطْفَالِ ؛ لأن السيدة عائشة كانت لها لُعبٌ تلعب بها وهى فى بيت النبى ﷺ ؛ لأنها جاءت إليه وعمرها تسع سنوات .

(ب) ما يمتن بالاستعمال ، كالرخد والوسائد ، وحجة ذلك ما روى عن السيدة عائشة من استعمال النبى ﷺ للثوب الذى فيه صور بعد تقطيعه .

(ج) ما يؤكل من تماثيل الحلوى .

٣- إباحة التصوير الفوتوغرافى :

ولا تنطبق هذه الكراهية على الصور الفوتوغرافية التى نحتاج إليها فى حياتنا ومعاملاتنا ، ففى فتوى للمرحوم الشيخ محمد نجيب المطيعى مفتى مصر الأسبق :

« أن الصور الفوتوغرافية ليست من التصوير المنهى عنه فى شيء ، لأن التصوير المنهى عنه هو إيجاد وضع صورة لم تكن موجودة ولا مصنوعة من قبل يضاهى بها حيواناً

(١) رواه أحمد . . وقال المنذرى : إسناده جيد .

(٢) رواه أيضاً أبو داود ، والترمذى . . وحيان بن حصين هو : أبو الهياج الأسدي .

خلقه الله تعالى - فالصور الفوتوغرافية عبارة عن ظلال مطابقة للأصل ، خالية من التكوين ، بعيدة عن التحوير عن الأصل . وأمر تحريم الصور مقصور على الصور البارزة ، والصور اليدوية التي تصنعها يد الإنسان .

٤- صور الأقارب والعظماء :

كما يُكرهُ تجميل بيوتنا بصور أو تماثيل تخليدًا لذكرى أقارب أو عظماء بعد وفاتهم ، سواء بصور مادية أو تماثيل حجرية .

والطريقة المثلى التي يرضاها الإسلام هو تخليد هؤلاء في القلوب والأفكار ، وعلى الألسنة بما قَدَّمُوا من خيرٍ وعملٍ ، وما تركوا وراءهم من مآثرٍ صالحاتٍ تكون لهم لسان صدق في الآخرين .

وما خُلِدَ رسول الله ﷺ - وهو أحب خلق الله إلى الله - ولا خُلِدَ خلفاؤه الراشدون ، ولا قادة الإسلام بصور أو تماثيل ، وإنما هي مناقب ومآثر يتناقلها الخلف عن السلف ، والأبناء عن الآباء مذكورة بالألسنة تعطر المجالس والندوات وتملأ العقول والقلوب بلا صور ولا تماثيل ؛ ولذلك نادى الخليفة الأول أبو بكر الصديق حين انتقل رسول الله ﷺ إلى جوار ربه :

« مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ » ثم تلا قوله تعالى :

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ
أَنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا
وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (١)

إِنَّ الْعُلُوَّ فِي التَّبْجِيلِ والتَعْظِيمِ لَا يَقْبَلُهُ الإسلامُ للأَمْوَاتِ وَلَا لِلْأَحْيَاءِ ، ولم يقبله رسولنا ﷺ لذاته الشريفة .

وقال عكرمة في قوله تعالى :

(١) سورة آل عمران - الآية ١٤٤ .

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ (١) .

قال : هم الذين يصنعون الصور ، وهى كل مصور ذات الأرواح .

٥- صورة الزفاف :

إن من التقاليد الغربية ، ومن مظاهر الحضارة المادية الزائفة تزيين البيت بصورة الزفاف ، تلك الصورة التى تقف فيها العروس وهى فى أبهى وقمة زينتها وجمالها جسماً ولبساً وزينة أمام رجل أجنبى لتبدأ حياتها الزوجية بهذا التقليد البعيد كل البعد عن قواعد الدين الحنيف فى المحافظة على كرامة المرأة من أول مراحل حياتها الزوجية .

علينا أن نتخلى عن سنن الغرب وتقاليده لتتبع سنة رسولنا المصطفى ﷺ . وصدق رسول الله ﷺ : فى الحديث الذى رواه أبو سعيد الخدرى أنه قال :

« لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضباً لتبعتموهم . قلنا يا رسول الله : اليهود والنصارى . قال فمن غيرهم ؟ » (٢) . وجحر الضب : كناية عن العادات الهدامة لقيم وأخلاق الأفراد والشعوب .

إن الالتزام بكتاب الله الكريم وسنة حبيبه المصطفى ﷺ يجعل الإنسان المسلم والإنسانة المسلمة لا يقربان المحرمات فحسب ، بل يتقيان الشبهات ، لحديث رسول الله ﷺ الذى رواه البخارى فى صحيحه عن النعمان بن بشير قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« الحلال بينٌ والحرام بينٌ وبينهما مُتَشَابِهَاتٌ لا يعلمها كثيرٌ من الناس ، فمن اتقى الشُّبُهَاتِ فقد استبرأ لدينه وعرضه .

وَمَنْ وَقَعَ فى الشُّبُهَاتِ كَرَعَ فى الشُّبُهَاتِ كَرَعَ يَرعى حول الحِمَى يوشك أن يُواقِعَهُ . ألا وإن لكل

(١) سورة الأحزاب - الآية ٥٧ .

(٢) رواه البخارى ومسلم وابن ماجه وأحمد .

ملك حِمَى ، ألا وإنَّ حِمَى الله في أرضه محارمُه . ألا وإن في الجسد مُضْغَةً إذا صَلَحَتْ
صلَح الجَسَدُ كله ، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كله ، ألا وهي القلب » .

صدق رسول الله .

٦ . اقتناء الكلب في البيت للزينة :

ممنوع تربية الكلاب بجميع أنواعها - ماعدا كلاب الصيد و كلاب الحراسة - وتربى
خارج البيت .

قال رسول الله ﷺ :

« لا تدخلُ الملائكةُ بيتاً فيه كَلْبٌ ولا صُورَةٌ » (١) .

وفي سنن أبي داود عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله ﷺ :

« لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة ولا جنب » .

وقال الخطابي رحمه الله تعالى : قوله ﷺ :

« لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ، ولا صورة ، ولا جُنُب » . يريد بالملائكة
الملائكة الذين ينزلون بالرحمة والبركة دون الملائكة الذين هم الحَفَظَةُ ، فإنهم لا يفارقون
الجُنُوبَ وغير الجُنُبِ .

وقد قيل إنه لم يرد الجُنُب الذي أصابته الجنابة فَأَخَّرَ الاغتسال إلى أوان حضور
الصلاة ، ولكنه الذي يجنب ولا يغتسل ، ويتهاون بالغسل ، ويتخذة عادة ، سواء
كان رجلاً أو امرأة ، فقالت عائشة رضی الله عنها :

« كان رسول الله ﷺ ينام وهو جُنُب ولا يمس ماء » (٢) .

والكلب المقصود هنا هو الذي يُقْتَنَى لا لزرع ولا لضرع ولا لصيد ، وإنما للزينة بغير
ضرورة ، أما إذا اضطر إليه للحاجة إليه في بعض الأمور ، أو لحراسة الدار ، فلا حرج
إن شاء الله للحاجة اليه .

(١) مَرْوِيُّ في الصحيحين .

(٢) رواه الترمذی .

ويلاحظ أَنَّ سُورَ الكلبِ نَجَسٌ يجبُ اجتنابه ، لما رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أَنَّ النَبى ﷺ قال :

« إِذَا شَرِبَ الكَلْبُ فِي إِنَاءٍ أَحَدَكُمْ فَلْيَغْسِلْهُ سَبْعًا » .

وفى رواية لأحمد :

« طَهِّرْ إِنَاءَ أَحَدِكُمْ إِذَا وَلَعَ فِيهِ الكَلْبُ أَنْ يَغْسِلَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ ، أَوَّلَاهَا بِالتَّرَابِ » .

ويقول فضيله المرحوم الشيخ محمود شلتوت فى الفتاوى :

« إِنْ الْمَقْصُودُ مِنَ الْعَدَدِ مَجْرَدُ الْكَثْرَةِ الَّتِي يَتَطَلَّبُهَا الْإِطْمِئْنَانُ عَلَى زَوَالِ أَثَرِ لَعَابِ الْكَلْبِ مِنَ الْآنِيَةِ ، وَإِنْ الْمَقْصُودُ مِنَ التَّرَابِ اسْتِعْمَالُ مَادَّةٍ مَعَ الْمَاءِ ، شَأْنُهَا تَقْوِيَةُ الْمَاءِ فِي إِزَالَةِ ذَلِكَ الْأَثَرِ ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ التَّرَابَ فِي الْحَدِيثِ لِأَنَّهُ الْمَيَسُورُ لِعَامَّةِ النَّاسِ كِمَادَةِ قُوَّةٍ فِي التَّطْهِيرِ وَاقْتِلَاعِ مَا عَسَاهُ يَتْرَكُهُ لَعَابُ الْكَلْبِ فِي الْإِنَاءِ مِنْ جَرَاثِيمٍ . وَعَلَيْهِ فَيُمْكِنُ التَّطْهِيرُ الْمَطْلُوبُ بِأَيِّ مِنَ الْمَطْهَرَاتِ الْقَوِيَّةِ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَابًا وَلَا مِنْ عُنَاصِرِهَا التَّرَابِ .

أما طيور الزينة : فليس فى تربية طيور الزينة فى البيت من حرج ، بشرط ألاَّ نحرمها قوتها وطعامها ، وأن نحفظها ونرعاه . وقصة سليمان عليه السلام مع الهدهد تدل على جواز استئناس الطير كما تُستأنس الطيور والحيوانات الأليفة .

ثانياً : النظافة الحسية والطهارة الروحية :

(أ) النظافة الشخصية الحسية :

بعد أن استعرضنا ما يجب على المرأة المسلمة من العمل فى بيتها وتنظيفه وتجميله نستعرض لمحات مما يجب على المرأة المسلمة من نظافة شخصية حسية ، ونظافة قلبية روحية .

لقد حث عليه الصلاة والسلام على النظافة فى كل شىء : نظافة البيوت ، ونظافة الأبدان ، ونظافة الثوب ، ونظافة الأسنان ، وليس ذلك عجباً ولا غريباً على دين جعل الطهارة مفتاحاً لأولى عباداته ، وهى الصلاة ، فلا تُقْبَلُ صلاةٌ من مسلم حتى يكون طاهراً نقيّاً فى بدنه وثوبه ومكانه ، وقال رسول الله ﷺ :

« إن الله تعالى طَيِّبٌ يَحِبُّ الطَّيِّبَ ، نَظِيفٌ يَحِبُّ النِّظَافَةَ ، كَرِيمٌ يَحِبُّ الْكَرَمَ ، جَوَادٌ يَحِبُّ الْجَوْدَ ، فَتَظَفُّوْا أَفْنِيَتَكُمْ وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ » (١) .

وقد عني المسلمون الأوائل بنظافة أسنانهم ، وكان أفضل ما يَسْتَاكُون به من فروع شجر الأراك . وكان أصحاب النبي ﷺ يغدون ويروحون لا يفارقهم السواك .

وكانت زوجات النبي ﷺ يَدَاوِمْنَ على استعمال السواك . وَيُسْتَحَب السواك عند كل صلاة ، وعند كل وضوء ، وعند تغيير النكهة بالنوم ، أو أكل بعض المأكولات ذات الرائحة . وفي الحديث الشريف :

« لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي لِأَمْرِهِمْ بِالسَّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ » .

ومن السنن التي أوصانا بها رسولنا الكريم ﷺ نَتْفُ الإِبْطِ ، وتقليم الأظافر . وَيُسَنُّ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وقد مر بنا الحديث الشريف :

« مِنْ الْفِطْرَةِ حَلْقُ الْعَانَةِ ، وَتَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ ، وَنَتْفُ الْإِبْطِ وَالْخِتَانِ » .

ويركز النبي ﷺ على تقليم الأظافر ، فقد كان النبي ﷺ يأمر الأعراب الذين أسلموا بالتقليم ، وينكر عليهم ما يرى تحت أظافرهم . وفي الحديث الشريف :

« قُصُّوا أَظْفَارَكُمْ ، وَادْفَنُوا قَلَامَاتِكُمْ ، وَنَقُّوا بَرَاجِمَكُمْ ، وَنَظَّفُوا لَثَاتِكُمْ مِنَ الطَّعَامِ ، وَلَا تَدْخُلُوا عَلَى قَلْحٍ بَخْرًا » .

والبراجم : هى العقد التى فى ظهور الأصابع يجتمع فيها الوسخ .

ودفن القلامة : تغييبها تحت الأرض .

القلح : صُفْرَةُ الْأَسْنَانِ . والبخرُ : نَتْنُ الْفَمِ .

ومن حكمة التوصية بتقليم الأظافر احتمال ألا يصل الماء إلى البشرة فى حالة طول الأظافر لوجود حائل بين الماء وبين البشرة ، وذلك فى حالة الوضوء ، أو حالة الغسل من الجنابة للزوج أو الزوجة . ومعروف أن شرط صحة الصلاة : الطهارة : طهارة

(١) رواه الترمذى .

الثوب والبدن والمكان ، وأن الاستهتار بالنجاسة يؤدي إلى أمراض الدنيا وعذاب الآخرة، فضلاً عن بطلان العبادة .

فالنجاسات كلها جراثيم ، والإسلام نظيف أمر بالنظافة .
وفي الحديث الشريف :

« تنزهوا من البول ، فإن عامة عذاب القبر منه » .

وقد أطلع الله نبيه ﷺ على المُعَذِّبِينَ فِي قُبَرِهِمَا وقال :

« أمّا أحدهما فكان لا يستبرئ من البول ، وأمّا الآخر فكان يمشي بين الناس بالنميمة » .

تلك هي بعض اللّمحات عن النظافة الخلقية والحسية التي أمرنا بها ديننا الحنيف، ونستعرض بعض لمحات عن النظافة الخلقية الروحية وواجب الزوج في هذا الصدد .

(ب) الطهارة الروحية وواجب الزوج بالنسبة للزوجه :

إن من أهم واجبات الزوج لزوجته أن يحافظ على دينها ويوجهها إلى الخير والفلاح ، فلا يقتصر الاهتمام على نظافة المظهر وسلامة الجسم وجماله فحسب ، بل عليه أيضاً أن يهتم بسلامة دينها وجمال خلقها ، وأن يقيها شقاء الدنيا والآخرة بأن تأتمر بما أمر الله ، وتنتهي عما نهى الله .

قال الله تعالى :

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (١).

قال ابن عباس في تفسير هذه الآية :

(١) سورة التحريم - الآية السادسة .

« اعملوا بطاعة الله ، واتقوا معاصي الله ، وأمروا أهليكم بالذكر يُنجيكم الله من النار » .

وقال قتادة :

« تأمرهم بطاعة الله ، وتنهاهم عن معصية الله ، وأن تقوم عليهم بأمر الله وتأمرهم به وتساعدهم عليه ، فإذا رأيت لله معصية زجرتهم عنها » (١) .

وذكر القشيري أن عمر رضى الله عنه قال لما نزلت هذه الآية :

« يا رسول الله نقي أنفسنا ، فكيف لنا بأهلينا ؟ فقال ﷺ :

« تَنهَوْنَهُمْ عَمَّا تَهَاكُمُ اللَّهُ ، وَتَأْمُرُونَهُمْ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ » .

وعن مقاتل :

« ذلك حق عليه في نفسه وولده وأهله وعبيده وإمائه » .

فعلينا تعليم أولادنا وأهلينا الدين والخير وما لا يتغنى عنه من الأدب » (٢) .

قال الله تعالى :

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٣) .

فإذا كان الإسلام يفترض أساساً ولاية الإيذان بين المؤمنين والمؤمنات والتواصي بالمعروف والنهي عن المنكر فكيف يكون الحال بزوجين مؤمنين ؟

والنبي ﷺ يقول :

(٢) تفسير ابن كثير - ج ٤ .

(١) القرطبي - ج ١٨ .

(٢) سورة التوبة - الآية ٧١ .

« كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، الإمام رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، والرجُل رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، والمرأة راعية فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، والخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » (١) .

فَلَا يَكْفِي أَنْ يَكُونَ الزَّوْجُ مُؤْمِنًا فَيَكْتَفِي بِنَفْسِهِ وَكَأَنَّهُ يَرَى أَلَّا تَكْلِيفَ عَلَى أَهْلِهِ ، والنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ : « وَالرَّجُلُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » .

فَعَلَى الزَّوْجَيْنِ أَنْ يَتَوَاصِيَا بِالْحَقِّ ، وَيَتَعَاوَنَا عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَرْضَاتِهِ فِي التَّمَسُّكِ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ حَتَّى لَا يَضِلَّا أَبَدًا .

وَلَا تَقْتَصِرُ مَسْئُولِيَةُ الزَّوْجِ عَنْ زَوْجَتِهِ فَقَطْ ، بَلْ تَمْتَدُّ مَسْئُولِيَّتُهُ إِلَى الْبَنَاتِ وَالْأَخْتِ وَمَنْ يَعُولُهُنَّ الرَّجُلُ ، فَالْمَسْئُولِيَةُ عَنْهُنَّ أَمَامَ اللَّهِ كَبِيرَةٌ .

فَعَلَيْهِ أَنْ يُحَسِّنَ أَدَبَهُنَّ ، وَيُرَبِّيهنَّ تَرْبِيَةً فَاضِلَةً ، وَيُدَافِعَ عَنْ شَرَفِهِنَّ وَكَرَامَتِهِنَّ مَا دُمْنَ فِي رِعَايَتِهِ ، وَإِلَّا فَقَدْ عَرَضَ نَفْسَهُ لِعَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى .

فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

« مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ ، أَوْ ابْنَتَانِ ، أَوْ أُخْتَانِ ، فَأَحْسَنَ صُحْبَهُنَّ وَاتَّقَى اللَّهَ فِيهِنَّ فَلَهُ الْجَنَّةُ » (٢) .

وَعَنْ أَبِي وَائِلٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ :

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

« مَنْ كَانَ لَهُ بِنْتُ فَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ أَدَبَهَا ، وَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا وَأَسْبَغَ عَلَيْهَا مِنْ نِعَمِ اللَّهِ الَّتِي أَسْبَغَ ، كَانَتْ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ » (٣) .

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه الترمذي وأبو داود .

(٣) رواه الحافظ أبو نعيم (تفسير القرطبي - ج ١٠) .

ومن حق الزوجة على زوجها أن يأمرها بأن تصون نفسها وتستتر عورتها .

لقوله تعالى :

﴿ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيكَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ ﴾ (١) .

وقوله تعالى :

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ (٢) .

وقوله تعالى :

﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ﴾ (٣) .

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم لأسماء رضى الله عنها عندما دخلت عليه في ثياب رقيقة وبعد أن أعرض عنها :

« يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض فلا يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا ، وأشار إلى وجهه وكفيه » (٤) .

وإن المدخل السليم والوسيلة للمحافظة على أخلاقيات الإسلام الحنيف هي المحافظة والمداومة على الصلاة ، فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، نحافظ ونداوم عليها ، ونعلم أولادنا وأزواجنا المحافظة والمداومة عليها .

قال الله تعالى :

(١) سورة الأحزاب - من الآية ٥٩ .

(٢) سورة الأحزاب - من الآية ٣٣ .

(٣) سورة النور - من الآية ٣١ .

(٤) متفق عليه .

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ (١) .

وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة :

« أى : استنقذهم من عذاب الله بإقام الصلاة واصبر أنت على فعلها » .

فإن أول واجبات الرجل المسلم أن يحول بيته إلى بيت مسلم ، وأن يوجه أهله إلى أداء الفريضة التي تصلهم بالله معه فتوحد اتجاههم العلوى في الحياة ، وما أجمل الحياة في رحاب بيت أهله كلهم يتجهون إلى الله . ويصبر على إقامتها كاملة ، وعلى تحقيق آثارها ، فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر في المشاعر وفي السلوك في القول وفي العمل ، في الأخذ وفي الترك ، وإلا فما هي صلاة مُقَامَة ، إنها هي حركات وكلمات .

ولننظر إلى قول الرسول ﷺ :

« رحم الله رجلاً قام في الليل فصلى وأيقظ امرأته ، فإن أبت نَضَحَ في وجهها الماء . رحم الله امرأة قامت في الليل فصلت وأيقظت زوجها فإن أبى نضحت في وجهه الماء » (٢) .

فالصلاة هي الحِصْن الحصين والفلاح المبين ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ :

إنَّ أول ما يُحَاسَبُ به العبدُ يوم القيامة من عمله صلاته ، فإن صَلَحَتْ فقد أَفْلَحَ وأنجَحَ ، وإن فسدت فقد خاب وخسر ، فإن انتقص من فريضة شيئاً قال الرب عز وجل : انظروا هل لعبدى من تطوع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة ؟ ثم تكون سائر أعمالنا على هذا » (٣) .

وعن ثابت رضى الله عنه قال :

(١) سورة طه - الآية ١٣٢ .

(٢) رواه أبو داود والترمذى .

(٣) رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن .

كان النبي ﷺ إذا أصابه خصاصة نادى أهله : يا أهلاه : صَلُّوا صَلُّوا . وكان عمر إذا استيقظ - يعنى يصلى من الليل - أقام أهله (١) .

وقال القرطبي :

رَوَى مُسْلِمٌ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ إِذَا أُوتِرَ يَقُولُ : « قَوْمِي يَا عَائِشَةُ » .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت :

« كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرَ الْآخِرَ مِنْ رَمَضَانَ أَحْيَا اللَّيْلَ كُلَّهُ وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ وَجَدَّ ، وَشَدَّ الْمُتَزَّرَ - أَيْ : شَمَرَ لِلْعِبَادَةِ - كُنَايَةً عَنْ اعْتِزَالِ النِّسَاءِ وَالِاجْتِهَادِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ » (٢) .

قال الإمام الغزالي :

« عَلَى الرَّجُلِ أَنْ يَعْلَمَ زَوْجَتَهُ أَحْكَامَ الصَّلَاةِ ، وَمَا يَقْضَى مِنْهَا فِي الْحَيْضِ وَمَالَا يُقْضَى ، فَإِنَّهُ أَمَرَ بِأَنْ يَقِيَهَا النَّارَ ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ فَعَلَيْهِ أَنْ يَلْقَاهَا عَقْدًا أَهْلُ السَّنَةِ ، وَيُزِيلَ عَنْ قَلْبِهَا كُلَّ بَدْعَةٍ إِنْ اسْتَمَعَتْ إِلَيْهَا ، وَيُخَوِّفُهَا فِي اللَّهِ إِنْ تَسَاهَلَتْ فِي أَمْرِ دِينِهَا ، وَيَعْلَمُهَا مِنْ أَحْكَامِ الْحَيْضِ وَالِاسْتِحَاضَةِ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ » (٣) .

فيجب على الزوج أن يفقه زوجته في أحكام الطهارة ، وما يتعلق بالحيض والنفاس .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« أَنْفَقَ عَلَى أَهْلِكَ وَلَا تَرْفَعْ عَنْهُمْ عَصَاكَ وَأَخْفَهُمْ مِنَ اللَّهِ » (٤) .

فيجب على الزوج أن يوضح لزوجته جميع ما أمر الله به ونهى عنه ، فإنه سَيُسْأَلُ عَنْ كُلِّ هَذَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

(١) تفسير ابن كثير - ج ٣ .

(٢) متفق عليه (رياض الصالحين) .

(٣) إحياء علوم الدين ج ٢ .

(٤) نيل الأوطار - ج ٦ .

فقد ورد أن الزوجة ستعلق يوم القيامة برقبة زوجها هذا وتقول :

« يا رب خذْ لي حقي من زوجي ؛ لأنه كان يرانى أفعل كذا من الموبقات فلم يَنْهِنِي ، وكان يرانى أبتعد عن فعل كذا من الخيرات وأداء الصلوات فلم يأمرنى » .
وهكذا فإن أعظم شىء وأجمل مظهر للبيت المسلم النظيف نظافة حسية ونظافة روحية هو أن يُحَافِظَ كل من فيه - رجالاً ونساءً ، شيوخاً وفتياناً - على الصلاة ، ويداووا عليها .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع النبى ﷺ يقول :
« أرايتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمساً ، أَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ ؟ قالوا : لا يبقى من درنه شىء . قال الرسول : فذلك مثل الصلوات الخمس ، يمحو الله بها الخطايا » .

وتأكيداً لحرص الإسلام على أن يكون كل سلوك المرأة المسلمة فى إطار كامل من النظافة والطهارة حَرَّمَ على الحائض والنفساء التعبد بصوم أو صلاة أو قرآن أو قربان زوجها حتى تتطهر من دمها ، فتعيد الصوم دون الصلاة .
وكان الحسن البصرى يقول :

« يا بن آدم ، أى شىء يعز عليك من دينك إذا هانت عليك صلاتك ، وأنت أول ما تُسأل عنها يوم القيامة ؟ كما تقدم من قول النبى ﷺ :

« أول ما يُحَاسَبُ العبدُ يوم القيامة من عمله صلاته ، فإن صَلَحَتْ فقد أفلَحَ وأنجَحَ ، وإن فَسَدَتْ فقد خاب وخَسِرَ ، فإن انتقص من الفريضة شىء يقول الله تعالى : انظروا هل لعبدى مِنْ تَطَوُّعٍ فَيُكَمِّلَ به ما انتقص من الفريضة ؟ ثم يكون سائر عمله كذلك » .

ثالثاً: الضيوف :

(أ) استقبال الضيف وإكرامه :

إن البيت المسلم الطيب هو بيت كَرَمٍ وَمَوَدَّةٍ ، فيجب على الزوجة المسلمة أن تجعل من بيتها بيت فضل وكرم ، حيث يقول الله تعالى :

﴿وَجَعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١)

على أن يكون استقبال الضيف وإكرامه في حدود الإمكانيات المتاحة لأهل البيت ،
حيث يقول الله تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (٢) .

ويقول الرسول الكريم ﷺ :

« لا تكلفوا الضيف فتغضوه » .

وقد نهانا الله عز وجل عن الشح ، حيث يقول تعالى :

﴿ وَمَنْ يُوقِ شَحِّ نَفْسِهِ ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٣) .

ويقول ﷺ :

« اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح ، فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » .

ويقول ﷺ : « إياكم والشح ، فإنما أهلك من كان قبلكم الشح ، أمرهم بالكذب فكذبوا ، وأمرهم بالظلم فظلموا ، وأمرهم بالفطيرة ففقطعوا » . ويقول عز وجل في حديث قدسي : « أَحَبُّ ثَلَاثَةٍ ، وَحْبَى لثَلَاثَةٍ أَشَدُّ :

أَحَبُّ الْغَنَى الْكَرِيمَ ، وَحْبَى لِلْفَقِيرِ الْكَرِيمِ أَشَدُّ .

وأحب الشيخ الطائع ، وَحْبَى لِلشَّابِّ الطَّائِعِ أَشَدُّ .

وأحب الشيخ المتواضع ، وَحْبَى لِلشَّابِّ الْمُتَوَاضِعِ أَشَدُّ .

وَأُبْغَضُ ثَلَاثَةً ، وَبُغْضَى لثَلَاثَةٍ أَشَدُّ .

أُبْغَضُ الْفَقِيرَ الْبَخِيلَ ، وَبُغْضَى لِلْغَنِيِّ الْبَخِيلِ أَشَدُّ .

وَأُبْغَضُ الشَّابَّ الْعَاصِيَ ، وَبُغْضَى لِلشَّيْخِ الْعَاصِي أَشَدُّ .

وَأُبْغَضُ الشَّابَّ الْمُتَكَبِّرَ ، وَبُغْضَى لِلشَّيْخِ الْمُتَكَبِّرِ أَشَدُّ » .

(١) سورة يونس - من الآية ٨٧ .

(٢) سورة البقرة - من الآية ٢٨٦ .

(٣) سورة الحشر - من الآية ٩ .

ويجب أن يكون إكرام الضيف لوجه الله تعالى ، وألَّا يَمْتَنَنَّ عَلَى الضيف بما قدمه له من معروف ، فقال ﷺ :

« لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ حَبٌّ وَلَا بَخِيلٌ وَلَا مَنَّانٌ » (١) .

وجاء عن النبي ﷺ أنه قال :

« إِيَّاكُمْ وَالْمَنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، فَإِنَّهُ يُبْطِلُ الشُّكْرَ ، وَيَمْحَقُ الْأَجْرَ » .

ثم تلا رسول الله ﷺ قوله تعالى :

﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا بُطْلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾ (٢) .

وقال حكيم :

« مَنْ مَنَّ بِمَعْرُوفِهِ سَقَطَ شُكْرُهُ ، وَمَنْ أُعْجِبَ بِعَمَلِهِ حَبِطَ أَجْرُهُ .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :

« مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصُمْتُ .

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ .

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكْرِمْ ضَيْفَهُ » (٣) .

(ب) السيدة فاطمة الزهراء نموذج للإيثار :

وليكن في سيرة الطاهرة فاطمة الزهراء رضى الله عنها أسوة حسنة لكل امرأة مسلمة في البذل والعطاء .

نذرت هى وزوجها على بن أبى طالب رضى الله عنه صيام ثلاثة أيام شكرًا لله عز وجل على شفاء ولديها الحسن والحسين . وعند غروب شمس اليوم الأول طرق الباب عليهم مسكين يشكو جوعه ، فأعطوه ما عندهم من خبز الشعير .

(١) رواه الترمذى وقال : حديث غريب . والخَبُّ : الحَدَّاعُ الخبيث .

(٢) سورة البقرة - من الآية ٢٦٤ .

(٣) رواه الشيخان .

وفي اليوم الثاني اسْتَطَعَمَهُمْ يَتِيمٌ ، فَأَطْعَمُوهُ .

وفي اليوم الثالث سألهم أسير فَقَدَ أَمْوَالَهُ فَقَدَّمُوا لَهُ طَعَامَهُمْ .

وهكذا بقى أهل البيت ثلاثة أيام لم يتذوقوا فيها غير الماء ، فأَنْزَلَ اللهُ فِيهِمْ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ إِعْظَامًا لِشَأْنِهِمْ ، وَإِكْبَارًا لِعَمَلِهِمْ ، لِيَكُونُوا الْقُدُوةَ ، وَلِيَكُونُوا الْمَثَلَ الطَّيِّبَ لِلتَّضْحِيَةِ وَالْإِيثَارِ ، فَقَالَ تَعَالَى :

﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا غُوبًا سَاقِطِيرًا * فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴾ (١) .

وجدير بالذكر أن يكون ذلك كله في إطار توجيهات رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه في الحديث الشريف حيث قال :

« لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا ، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيًّا » (٢) .

ذلك المبدأ العظيم الذى وضعه لنا معلمنا ورسولنا ﷺ .

وقال عليه الصلاة والسلام : « الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُجَالِسُ » (٣) .

وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : « مَا مِنْ شَيْءٍ أَدْلَ عَلَى شَيْءٍ ، وَلَا الدِّخَانُ عَلَى النَّارِ ، مِنْ الصَّاحِبِ عَلَى الصَّاحِبِ » .

وقال بعض الأدباء : « يُظَنُّ بِالْمَرْءِ مَا يُظَنُّ بِقَرِينِهِ » .

وروى ابن عساكر عن رسول الله ﷺ قال :

(١) سورة الإنسان - الآيات من ٨ - ١١ .

(٢) رواه أبو داود والترمذى .

(٣) رواه أبو داود والترمذى .

« إِيَّاكَ وَقَرِينَ السُّوءِ ، فَإِنَّكَ بِهِ تُعْرِفُ » .

وقال عدى بن زيد :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكلُّ قرينٍ بالمُقَارِنِ يَفْتَدِي
إذا كُنْتُ في قَوْمٍ فَصَاحِبُ خِيَارِهِمْ ولا تَصْحَبِ الْأَزْدَى فَتَرْدَى مَعَ الرَّدَى

وحديث رسول الله ﷺ : « الناس معادنٌ ، خيارُهُم في الجاهلية خيارُهُم في الإسلام إذا فقهوا » يعنى أن كل امرئ يتصرف بما طُبِعَ عليه ، فالإنسان حَسَنُ المعدنِ ، كريم الأصل ، يلتزم المروءة ، ويتحرى الخير والبر والإحسان دائماً ، فإذا لَيَّنَ الله قلبه بالإيمان الكامل وعمره بالعلم النافع كان خير الناس .

(ج) اللهم إني أعوذ بك من الجبن والبخل :

عن أبى سعيد الخُدْرِيّ رضى الله عنه قال :

دخل رسول الله ﷺ ذات يوم المسجد فإذا هو برجل من الأنصار يُقال له أبو أمامة فقال الرسول :

« يا أبا أمامة ، مالى أراك جالساً في المسجد في غير وقت صلاة ؟ » .

قال : هُمُومٌ لَزِمَتْنِي وَدُيُونٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ :

قال الرسول : « أفلا أعلمك كلاماً إذا قُلْتَهُ أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّكَ ، وقضى عنك دَيْنَكَ ؟ » .

قال : قُلْتُ : بلى يا رسول الله .

قال : قل : إذا أَصْبَحْتَ وإذا أَمْسَيْتَ :

« اللهم إني أعوذ بك مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ » .

قال : ففعلتُ ذلك فَأَذْهَبَ اللَّهُ عَنِّي غَمِّى ، وقضى عَنِّي دَيْنِى (١) .

(١) أخرجه أبو داود .

وقال صلى الله عليه وسلم عن جزاء المخى :

« السَخِيُّ قَرِيبٌ مِنْ اللَّهِ ، قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ ، قَرِيبٌ مِنَ الْجَنَّةِ ، بَعِيدٌ مِنَ النَّارِ ،
وَالْبَخِيلُ بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ ، بَعِيدٌ مِنَ النَّاسِ ، بَعِيدٌ مِنَ الْجَنَّةِ ، قَرِيبٌ مِنَ النَّارِ ،
وَلِجَاهِلٍ سَخِي أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ عَابِدٍ بِخِيلٍ » (١) .
وقال ﷺ : « مَا كَانَ فِي اللَّهِ تَلَفُهُ كَانَ عَلَى اللَّهِ خَلْفُهُ » (٢) .

وقال رسول الله ﷺ : « يَا بَنَ آدَمَ ، إِنَّكَ إِنْ تَبَدَّلَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِكَ خَيْرٌ لَكَ ، وَإِنْ
تَمَسَّكَ شَرٌّ لَكَ ، وَلَا تُلَامُ عَلَى كِفَافٍ ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ
السُّفْلَى » (٣) .

ومن طريف ما قاله الإمام الجنيدي : « أَرَبَعٌ لَا يَنْبَغِي لِشَرِيفٍ أَنْ يَأْتَفَ مِنْهُمْ ، وَإِنْ
كَانَ أَمِيرًا : قِيَامُهُ مِنْ مَجْلِسِهِ لِأَيِّهِ ، وَخِدْمَتُهُ لِلْعَالَمِ يَتَعَلَّمُ مِنْهُ ، وَالسُّؤَالُ عَمَّا لَا يَعْلَمُ مِنْ
هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ ، وَخِدْمَتُهُ الضَّيْفِ بِنَفْسِهِ إِكْرَامًا لَهُ » (٤) .

ويلاحظ أنه من التصرفات السيئة التي لا تليق بالمرأة المسلمة ، والتي لا تمت إلى
الإسلام بصلة حِرْصُ الزوجة بدافع من نفسها أو بإيعاز من زوجها أن تُشاركه في
الترحيب بضيوفه ومُجالستهم وتبادل أطراف الحديث معهم بملابسها وزينتها التي
تحرص عليها كثيرًا في مثل هذه المناسبات . ولقد حددت أوامر القرآن الكريم وهدى
السنة النبوية الشريفة بكل دقة ما يجب أن تكون عليه المرأة في حضرة الرجال الأجانب
مِنْ سَتْرِ محاسنها ، وعدم التزين بما يلفت الأنظار إليها ، ومن الأدب في القول ،
والحياء عند الكلام ، ومن عدم الخلوة بأجنبي مهما كانت صلته بزوجها ، ومن حُرْمَةِ
التلامس بالمصافحة وغيرها ، بينها وبين من لا توجد بينها وبينه قرابة محرمة .

وإن محاولة البعض إثبات أن الدين لا يأبى ذلك بل يدعو إليه ، استناداً للحديث

(١) رواه الترمذی .

(٢) رواه البخاری .

(٣) رواه مسلم .

(٤) رواه أبو حيان التوحیدی .

الذى رواه البخارى وترجم له بقوله : « بَابُ قِيَامِ الْمَرْأَةِ عَلَى الرِّجَالِ فِي الْعُرْسِ وَخِدْمَتِهِمْ بِالنَّفْسِ » .

فقد رَوَى عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ : لَمَّا عَرَّسَ أَبُو أُسَيْدٍ السَّاعِدِيُّ دَعَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ فَمَا صَنَعَ لَهُمْ طَعَامًا وَلَا قَرَبَةً إِلَيْهِمْ إِلَّا امْرَأَتُهُ أُمُّ أُسَيْدٍ ، بَلَّغَتْ تَمْرَاتٍ فِي تَوْرٍ ^(١) مِنْ حَجَارَةٍ ، فَلَمَّا فَرَّغَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الطَّعَامِ أَمَاءَتْهُ أَى خَلَطَتْهُ بِالْمَاءِ - لَهُ فَسَقْتُهُ تُثَحِّفُهُ بِذَلِكَ .

وهذا حديث صحيح ، والحادثة التى فيه إما أن تكون قد وقعت قبل فَرْضِ الحجاب أو بعد فرضه ؛ لأن الحجاب فُرض بعد الهجرة بثلاث سنوات أو أربع أو خمس سنوات .

فإن كانت الحادثة قد وقعت قبل فرض الحجاب فلا يصح أن يُسْتَدَلَّ بها على ما يدعيه المنادون التحمسون لتحرر المرأة ، وإن كانت الحادثة قد وقعت بعد فرض الحجاب فمن المقطوع به أن أُمَّ أُسَيْدٍ كانت ملتزمة للحجاب الذى فرضه الله غير كاشفة لما أمر الله بستره ، لا تُسَلَّمُ ولا تُصَافِحُ المدعويين على الوجه المعروف الآن ، وإلا لما أقرها رسول الله ﷺ على ذلك مطلقًا .

وعليه فإن مثل هذا النص لا يجوز أبدًا أن يُتَّخَذَ مُنْطَلَقًا للإباحة للمرأة أن تُجَالِسَ أصدقاء الزوج وتُشاركهم فى سهراتهم ، وأن كل ما يحدث الآن من هذا الاختلاط السافر المنطلق حرام ، وأئى حرام .

وإذا كنا قد أوضحنا ما يجب على البيت المسلم نحو الضيف من تكريم وإكرام فى حدود الالتزام بما أمر به الله عز وجل ، فهناك أدب إسلامى يجب أن يلتزم به الضيف أيضًا :

ففى قوله تعالى فى آية الحجاب فى سورة الأحزاب :

﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى

(١) التور : إناء يُشْرَبُ فيه .

طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَأَدْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِفِينَ لِحَدِيثٍ ﴿١﴾ .

جاءت هذه الآية الكريمة تعلم الناس ألا يدخلوا بيوت النبي بغير إذن ، فإذا دُعُوا إلى الطعام دَخَلُوا ، أما إذا لم يُدْعَوْا فلا يَدْخُلُون يترقبون نُضْجَهُ - ثم إذا طَعِمُوا خَرَجُوا ولم يبقوا بعد الطعام للسَّمَر والأخذ بأطراف الحديث للسَّمَر .

وإذا كانت القاعدة هي أن العبرة بعمومية اللفظ لا بخصوصية السبب ، فما أحوجنا - نحن المسلمين - اليوم إلى هذا الأدب . إن المدعوين إلى الطعام يتخلفون بعده ، بل إنهم ليتخلفون على المائدة ، ويطول بهم الحديث ، وأهل البيت الذين يحتفظون ببقية مِنْ أمر الإسلام بالاحتجاب - متأذون محتسبون ، والأضياف ماضون في حديثهم وفي سمرهم لا يشعرون .

وفي الأدب الإسلامي غناء وكفاء لكل حالة لو كنا نأخذ بهذا الأدب الإلهي القويم .

ومن ناحية أخرى فإنه يجوز للمسلم أن يستضيف غير المسلم ويدعوه إلى حفل زواجه وما شابه ذلك ، على أساس أن الصلة بين المسلم وغير المسلم في البر والعدل والتعامل مؤسسة على قوله تعالى :

﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتُلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ * إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُمْ مِنْ دِينِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢﴾ .

وعلى هذا الأساس يجوز للمسلم أن يستضيف غير المسلم مادام غير المسلم لم يؤذ المسلمين ولم يقاتلهم في الدين ، والمؤمن يكون شأنه آلفاً مألوفاً ، كما قال ﷺ :

(١) سورة الأحزاب - من الآية ٥٣ .

(٢) سورة الممتحنة - الآيتان : ٩ ، ٨ .

(المؤمن آلفٌ ، ولا خير فيمن لا يَأْلَفُ ولا يُؤْلَفُ ، وخير الناس أنفعهم للناس » (١) .

كما أنه لا مانع من إجابة دعوة غير المسلمين وحضور حفلاتهم تأليفاً لقلوبهم ، وتطيباً لخواطرهم ما لم تكن هناك منكرات ، ويجوز أكل طعامهم مادام الطعام لم يشتمل على محرم ، ومادام متأكداً من التسمية على الذبح وطريقته الموافقة للشرع .

رابعاً: الخدم :

(أ) يجب أن يكونوا من المسلمين :

إذا كنا قد أوضحنا أنه يجب أن يكون مبدأ الأسرة المسلمة فيمن تستضيفه هو حديث أسوتنا الحسنة الرسول الكريم ﷺ : « لا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا ، ولا يأكل طعامك إلا تَقِيٌّ » . فيجب علينا أيضاً أن نلاحظ عندما نستقدم خدماً للعمل في البيت ، أو لقيادة السيارة ، أن يكونوا من المسلمين ، فإن استخدام مَنْ لا دين له من الرجال أو النساء في الخدمة يتسبب عنه مضار بليغة ، ومخاطر كثيرة على المجتمع عامة ، وعلى الأسرة خاصة .

وعموماً فإن ما تفعله كثير من الأسر الإسلامية التي أفاء الله عليها بالثراء والغنى من استخدام رجال أجنب ، واتخاذهم إياهم سائقين لسياراتهم ، وخدماً في بيوتهم لأمر غاية في الخطورة .

فكيف نمنح مثل هؤلاء ثقتنا ونأمنهم على حرماننا وأعراضنا .

إن كثيراً من الأسر الثرية يدفعون ببناتهم إلى سائق أجنبي يغدو بهم ويروح من البيت إلى المدرسة ، والسوق والنزهة . وهم بذلك يخالفون تعاليم الإسلام وشريعته الحكيمة .

ولا يجوز لنا شرعاً أن نذهب إلى أعمالنا ونترك زوجاتنا وبناتنا - المراهقات والقصر - في البيت مع هذا الخادم الأجنبي - مسلماً كان أو غير مسلم - يخلو بهن ويخلون به ، والرسول ﷺ يقول :

« لا يَخْلُونَ رجلٌ بامرأةٍ إِلَّا ومَعَهَا حَرَمٌ » .

(١) رواه الحاكم والبيهقي .

لقد جعل الله البيوت سكناً يفيء إليها الناس لتسكن أرواحهم ، وتطمئن نفوسهم ، ويأمنوا في جُلُوسهم وترحالهم على مَنْ خَلَقَهُمْ من حُرُمات ؛ لذا فقد وضع الشرع لها حدوداً وآداباً ، وجعل من حقوق الزوج على زوجته ألا تأذن لأجنبي بدخول البيت ، ولو أذن له الزوج بذلك ، فلا طاعةَ لِخُلُقٍ في معصية الخالق ، كُلُّ ذلك صيانةٌ للأعراض من أن تُنتَهَكَ بمنع أسبابها من خلوة واختلاط .

فعلينا أن نتنبه إلى ذلك الخطر الوبيل الذي بدأ يتفشى في كثير من الأسر الإسلامية قبل أن تُنتَهَكَ العُروض في عقر الدار ، وقبل أن تُستباح الحُرُمات في غفلة من الأزواج والآباء .

(ب) حسن معاملة الخدم :

إذا كان من واجبات الزوجة الأساسية حُسْنُ معاملة الزوج وأهله بخُلُق طيب كريم ، فإن الإسلام ورسول الإسلام ﷺ يوصي كلاً من الزوج والزوجة بحُسْنِ معاملة الخدم :

وكان رسول الله ﷺ يُعامل خَدَمَهُ بكل رفق ، ويأمر بمعاملتهم معاملة عادلة كريمة .

قال أنس رضي الله عنه : « والذي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ ، ما قَالَ لِي في شيء قط كَرِهَهُ : لِمَ فَعَلْتُهُ ، ولا لَأَمْنِي نِسَاؤُهُ ، إلا قال : دَعُوهُ ، إنما كان هَذَا بَكْتَابٍ وَقَدَرٍ » .

وكان أنس خادمَ رسول الله ﷺ .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إخوانكم خَوَلُكُمْ ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن جعل الله أَخَاهُ تحت يده فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ ، ولا يكلفه من العمل ما يغلبه ، فإن كلفه ما يغلبه فَلْيُعِنِّهِ عَلَيْهِ » (١) .

وفي الحديث الشريف « للمملوك طعامه وكسوته ولا يُكَلَّفُ ما لا يطيق » (٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « إذا أتَى أحدكم خادمه

(١) متفق عليه .

(٢) رواه مسلم من حديث أبي هريرة .

بطعامه فإن لم يُجلسه معه فليناول له لقمته أو لقمتين ، أو أكلة أو أكلتين ، فإنه وَلِيُّ عِلَاجِهِ» (١) .

فعلى المسلم أن يُجلِس خادمه معه ليأكل ، وإلا فليجعل له من الطعام نصيباً ؛ لأن نفس الخادم قد تعلقت بالطعام وشم رائحته وتفتحت له شهيته ، كما أن لعينه حظاً في المأكول ، فينبغى صرفها بإطعام صاحبها لتسكن نفسه .

وقوله ﷺ : « فليناول له لقمته أو لقمتين » هذا إذا كان الطعام قليلاً ، أما إذا كان الطعام كثيراً فإما أن يُجلسه معه ، وإما أن يجعل له حظاً منه يكفيه . والأمر بالإجلاس والمناولة للندب على الراجح عند الشافعية ، والإجلاس أفضل إذا لم تكن هناك ريبة ، أما إذا كانت هناك ريبة بأن الخادم أنشئ حرة والمخدوم غير محرم لها فلا يجوز الإجلاس خشية الفتنة ، بل عليه أن يجعل للخادم حظاً من الطعام يكفيه ، أويناوله منه . وقد نقل ابن المنذر عن جميع أهل العلم أن الواجب إطعام الطعام من غالب القوت الذى يأكل منه مثله في ذلك البلد . وكذلك القول في الأدم والكسوة .

وكان ﷺ يوصى صحابته عند خروجه من الدنيا وهو في فراش الموت ويقول حتى لجج لسانه وخفى كلامه :

« الله الله في الصلاة وما ملكت أيمانكم ، أطعموهم مما تأكلون ، واكسوهم مما تكتسبون ، ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون ، فإن كلفتموهم فأعينوهم ، ولا تعذبوا خلق الله ، فإنه مَلَكُكُمْ إياهم ، ولو شاء لَمَلَكَهُمْ إياكم » (٢٢) .

وكان في يد النبي ﷺ يوماً سواك فدعا خادماً ، فأبطأ عليه فقال :

« لولا القصاصُ لأَوْجَعْتُكَ بهذا السَّوَاك » (٣) .

وبالالتزام بذلك الهدى النبوى يكون البيت المسلم الطيب الكريم الذى تشع منه المحبة والمودة والخلق الإسلامى لكل من يعيشون فيه .

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) رواه الطبرانى من حديث زيد بن حارثة .

(٣) رواه أحمد من حديث أم سلمة .

(ج) الخدم ليس نوعاً من أنواع الرق :

ويجب أن نلفت النظر إلى أن الخدم ليس نوعاً من أنواع الرق ، فالخدم هم أناس لهم كامل الحرية ، ويعملون لدينا بأجر ، ولهم الحق في حُسنِ المعاملة ، وإن شاءوا تركوا العمل في أى وقت بدون أى قيد .

أما الرق فقد قَضِيَ عليه الإسلام قضاءً تاماً . وكان الرقُّ أبغض الأشياء إلى الرسول ﷺ فقد آل إليه عَبْدٌ - هو زيد بن حارثة - من زوجه السيدة خديجة ، فأعتقه وتبَّاه ، فكان يُدعى زيدُ بن محمد ، عليه الصلاة والسلام ، حتى ألغى الإسلام نظام التبنى ، بقوله تعالى :

﴿ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ﴾ (١)

وقد اعتق الرسول كثيراً من الرجال والنساء قبل بعثته رسولا وبعدها ، وذلك من ماله ومال زوجته السيدة خديجة ، وكذلك فعل أبو بكر (٢) .

وثبت أن الرسول ﷺ لم ينشئ رقاً على حرٍّ ، ولا سمح في عصره بشيء من ذلك . لقد جاء الإسلام فانتشل المعذنين في الأرض من حضيض الذل والمهانة إلى قمة الحرية والكرامة الإنسانية .

لقد أعلن رسول الإسلام قائلاً :

« مَنْ قَتَلَ عَبْدَهُ قَتَلَنَاهُ ، وَمَنْ جَدَعَ عَبْدَهُ جَدَعْنَاهُ ، وَمَنْ أَخْصَى عَبْدَهُ أَخْصَيْنَاهُ » (٣) .

وعن ابن مسعود البدرى الأنصارى رضى الله عنه قال :

« كنت أضرب غلاماً لى ، فسمعتُ من خلفى صوتاً « اعلم أبا مسعود أن الله أقدرُ عليك منك على هذا » فالتفتُ فإذا رسول الله ﷺ ، فقلتُ : يا رسول الله ، هو حرٌّ

(١) سورة الأحزاب - من الآية الخامسة .

(٢) السير الكبير للإمام الشيبانى ص ٧٥ .

(٣) رواه أصحاب السنن والدارمى .

لوجه الله تعالى : فقال الرسول : « أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلْفَحْتُكَ النَّارُ » (١) .

ومن صفات الرسول ﷺ التي وردت في بعض الكتب :

« أنه كان لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها ، وإنما يغضب للحق وللدين ، وحينئذ لا يقوم لغضبه شيء . ما ضَرَبَ خادماً ، ولا امرأة قط ، وما ضرب بيده شيئاً إلا أن يكون جهاداً في سبيل الله » .

وقد عمل الإسلام على القضاء على الرق بصورة تدريجية ، فحرَّم في البداية مصادر الرق كلها ، عدا رِق الوارثة ورق الحرب ، ووضع على هذين المصدرين قيوداً من شأنها أن تؤدي بها إلى النضوب بعد فترة من الزمان .

فمن أهم القيود على رِق الورثة :

أن الأمة (الجارية) التي تلد من سيدها ومالكها يصبح ولدها حُرّاً إذا اعترف به السيد ، أَمَّا هِيَ فَتُسَمَّى أم الولد ، ولا يصح لسيدها أن يبيعها أو يهبها ، وتصبح حرة بعد موت سيدها .

وهذا القيد أدى إلى نضوب هذا المصدر بعد أمد غير طويل (٢) .

ولذلك يؤثر عن الرسول ﷺ قوله ، بعد أن رَزَقَ بابنه إبراهيم من مارية القبطية : « أَعْتَقَهَا وَلَدَهَا » .

وكان من رفق الرسول بالرق أنه يَرَى أَنَّ مَنْ لَطَمَ عبده على وجهه فَكَفَّارَتُهُ عِتْقُهُ . وكان ينصح الناس بقوله ﷺ :

« لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ : عَبْدِي وَأَمَتِي ، وَلْيَقُلْ : فَتَاىَ وَفَتَاتِي » (٣) .

وقال تعالى في زواج الأمة :

﴿ وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَتِ الْمُؤْمِنَتِ

(١) رواه مسلم .

(٢) ضَحَى الإسلام لأحد أمين .

(٣) متفق عليه .

فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فِتْيَتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ﴿١﴾ .

ومن أهم القيود على رق الحرب :

قوله تعالى : ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَتَخْتَمُوا فَشُدُّوا الْوَتَاقَ
فَإِمَّا مَنَابِذٌ وَإِمَّا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۖ﴾ (٢) .

فهذا النص القرآني كما يقول الإمام الشيباني في السير الكبير يُخَيِّرُ بين أمرين اثنين :
إِمَّا أَنْ يَمُنَّ الْقَائِدُ أَوْ وَلِيُّ الْأَمْرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْأَسْرَى بِالْحُرِّيَّةِ بَدُونِ مُقَابَلٍ .
وإِمَّا أَنْ يَفْتَدِيَ الْأَسْرَى بِمَالٍ أَوْ بِأَسْرَى مِثْلِهِمْ ، وَهُوَ مَا يُسَمَّى حَالِيًا بِتَبَادُلِ
الْأَسْرَى .

وهذا النص دليل على منع الرق .

وبذلك قضى الإسلام على الرق قضاءً نهائياً (٣) .

* * *

(١) سورة النساء - الآية ٢٥ .

(٢) سورة محمد - من الآية الرابعة .

(٣) مبادئ نظام الحكم في الإسلام - دكتور عبد الحميد متولى - الطبعة الرابعة .